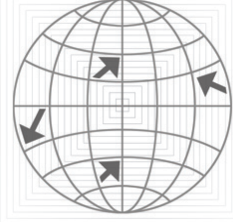


إيران والثورة السورية: تحولات الخريطة الإقليمية

محمد سليمان الزواوي
مدير وحدة العلاقات الدولية بالمركز العربي للدراسات الإنسانية

ملخص الدراسة

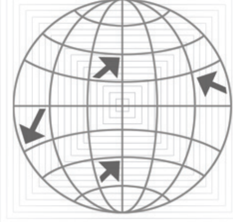
لقد كانت التقديرات الأولية للنظام الإيراني أن الربيع العربي كان بمثابة الطوفان الهادر الذي أسقط الأنظمة «العميلة للإمبريالية الغربية»، وأن تلك الثورات جاءت استلهامًا للنموذج الإيراني للثورة الإسلامية، ولكن جاءت الرياح بما لا تشتهي السفن الإيرانية؛ حيث تحول الربيع العربي إلى صعود للإسلام السياسي «السني»، واستعادة للنفوذ المصري الذي سيلتحم بالضرورة مع النفوذين التركي والسعودي ليتشكل الحاجز السني الجديد الذي يقطع الهلال الشيعي الممتد حتى لبنان، وكانت سوريا هي بؤرة الانقطاع؛ لأنها تشهد ثورة ضد النظام العلوي.

ولذا كان الهدف من الدراسة هو رصد التحركات الإيرانية، وخياراتها في الثورة السورية، وكذلك قياس قدرتها على التحرك في ظل مشكلات داخلية اقتصادية واجتماعية وسياسية، وكذلك في ظرف دولي خانق ضد النظام الإيراني، من المتوقع أن يدفعه إلى أحد خيارين: إما الاستسلام للضغوط والانكفاء حول ذاته، أو عقد صفقة من أجل الخروج من ورطته، والاستمرار في دفع نفوذه الإقليمي.

فمع أنَّ إيران قد أعلنت صراحة بوجود عناصر من الحرس الثوري على الأراضي السورية، بل وتلوح بتنفيذ اتفاقية الدفاع المشترك مع سوريا، إلا أنَّ هناك تحديات داخلية وخارجية أمام مد النفوذ الإيراني في سوريا والمنطقة؛ حيث وصلت الأزمة الاقتصادية الإيرانية إلى عدم قدرة نظام طهران على توفير المتطلبات الأساسية لشعبه، مثل اندلاع ما سمي بـ «اضطرابات الدجاج» بعد أن وصلت أسعاره إلى أرقام فلكية عجز معها المواطن العادي على شراء الدجاج. إضافةً إلى تراجع إنتاج النفط الإيراني إثر العقوبات الغربية.

فأصبح من الواجب على إيران قبول أحد الخيارات المُتاحة؛ مثل عقد صفقة مع الغرب بتجميد البرنامج النووي الإيراني مقابل السماح لها بزيادة نفوذها في المنطقة تزامنًا مع الانسحاب الأمريكي، بالتقاطع مع المصالح الروسية والصينية مع كل من الغرب وإيران.

وعلى أي الأحوال، فالصراع الطائفي في المنطقة يجب أن ينتهي؛ وذلك بحتمية التعايش السلمي بين كافة شعوب المنطقة بمختلف مذاهبها وأديانها، وهذا لن يتم إلا بنزع شوكة النظام الطائفي في طهران، ولأنَّ تحولات الخريطة الإقليمية بناء على الخطوط العرقية والمذهبية تعد الخطر الأكبر على السلم والأمن الإقليميين في المنطقة، والتحريش بين الطوائف هو الهدف الأسمى لأعداء الأمة الإسلامية، بالقضاء على بعضهم بعضًا، وبانتعاش سوق السلاح الشرقي والغربي، ويصب في النهاية في صالح إسرائيل، التي لها أحلام توسعية هي الأخرى بإنشاء إسرائيل الكبرى من النيل إلى الفرات.



إيران والثورة السورية: تحولات الخريطة الإقليمية

محمد سليمان الزواوي
مدير وحدة العلاقات الدولية بالمركز العربي للدراسات الإنسانية

مقدمة:

كانت التقديرات الأولية للنظام الإيراني أن الربيع العربي كان بمثابة الطوفان الهادر الذي أسقط الأنظمة «العميلة للإمبريالية الغربية»، وأن تلك الثورات جاءت استلهامًا للنموذج الإيراني للثورة الإسلامية، وتحركت إيران لملء الفراغ الناشئ عن سقوط الأنظمة في دول «الاعتدال»، محاولة منها أن تبرز نموذجها في «الممانعة»، وتستثمر في ثورات الشباب العربي من تونس إلى اليمن، لدفع نفوذها الإقليمي في أراض جديدة.

ولكن جاءت الرياح بما لا تشتهي السفن الإيرانية؛ إذ تحول الربيع العربي إلى صعود للإسلام السياسي «السني»، واستعادة للنفوذ المصري الذي سيلتحم بالضرورة مع النفوذين التركي والسعودي ليتشكل الحاجز السني الجديد الذي يقطع الهلال الشيعي الممتد حتى لبنان، وبؤرة ذلك الانقطاع جاءت في قلب الدولة السورية، التي تشهد ثورة ضد النظام العلوي، وأثبتت الأيام أن الربيع العربي جاء ليقلص النفوذ الإيراني الذي توسع شرقًا وغربًا نتيجة حربي الولايات المتحدة في العراق وأفغانستان.

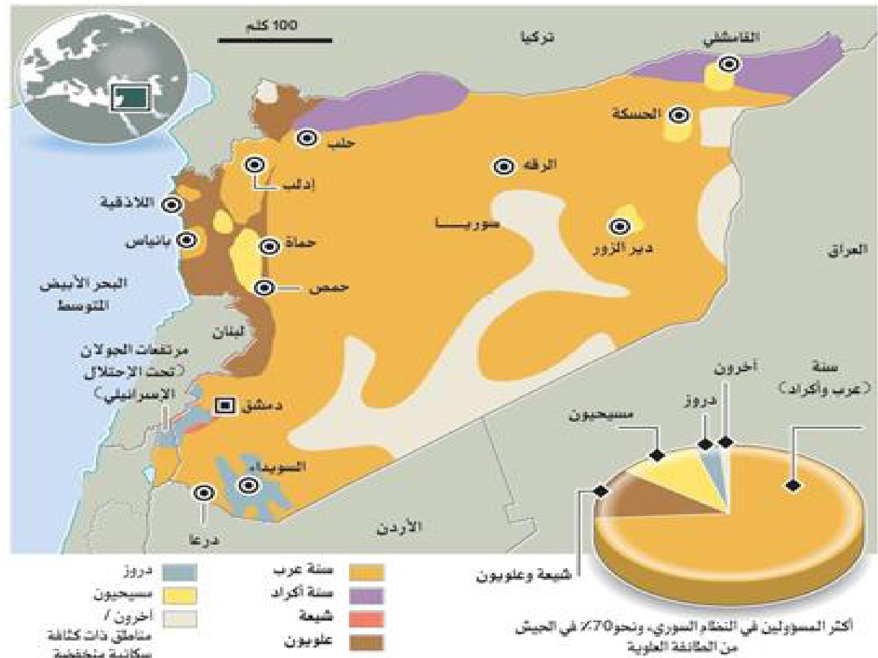
وإيران ظلت حريصة على عدم استخدام قوتها الصلبة في معارك نشر نفوذها ومذهبها؛ ولكنها في الثورة السورية أدخلت ميليشيات الحرس الثوري على الأرض من أجل الدفاع عن نظام الأسد، وهو ما يخاطر بإدخال المنطقة في أتون حرب إقليمية موسعة مع اشتداد أوار المعارك في البؤر العلوية والشيعية في سوريا ولبنان والعراق، وتحول الساحة كلها إلى حرب طائفية طاحنة.

ولذا كان الهدف من الدراسة هو رصد التحركات الإيرانية وخياراتها في الثورة السورية، وكذلك قياس قدرتها على التحرك في ظل مشكلات داخلية اقتصادية واجتماعية وسياسية، وكذلك في ظرف دولي خانق ضد النظام الإيراني، من المتوقع أن يدفعه إلى أحد خيارين: إما الاستسلام للضغوط والانكفاء حول ذاته، أو عقد صفقة من أجل الخروج من ورطته، والاستمرار في دفع نفوذه الإقليمي.

فإيران الآن تقف في مفترق طرق تاريخي قد يحدد شكل الدولة الإيرانية –وبالتالي الخريطة الإقليمية– لعقود قادمة، فالموجة الحالية من الثورات العربية وخاصة الثورة السورية قد تعيد نفوذ الدولة الإيرانية عقودًا إلى الوراء، في ظل تحديات جمة تشهدها الدولة الإيرانية على الصعيد الداخلي والإقليمي والدولي، على المستويات السياسية والاقتصادية والعسكرية، لذا فإن معركة دمشق هي معركة وجود للنظام الإيراني، قد يستتبعها اتخاذ قرارات تاريخية بالاستخدام الأول لقوتها الصلبة في المنطقة، لاسيما في ظل توافر عدة متغيرات إقليمية ودولية، من أهمها عقد صفقة مع الولايات المتحدة الأمريكية لمقايضة النفوذ الإيراني ببرنامجها النووي.

كما أن خيارات سقوط الدولة السورية يحمل بين طياته اندلاع حرب طائفية بنشوء دولة علوية شيعية على السواحل الغربية السورية؛ حيث تتمركز الأقلية العلوية ومعها الأقلية المسيحية، ستنتقل آثارها وتداعياتها إلى الداخل الفسيفسائي اللبناني أيضًا، وكذلك إلى الدولة العراقية المقسمة فعليًّا إلى ثلاث طوائف، مما سُيدخل المنطقة كلها في أتون صراعات قد تعيد تشكيل المنطقة من جديد.

ومن هنا جاءت أهمية الدراسة؛ حيث إنها تحاول استشراف التحولات في الخريطة الإقليمية بناء على الثورة السورية ومخرجاتها التي من المتوقع أن تعيد تقسيم الدولة السورية، ومن ثَم المنطقة، حول الخطوط العرقية والطائفية، باستدعاء القوى الإقليمية المناصرة لكل طائفة لنصرتها في الحرب الطائفية المتوقعة.



ومع تضييق الخناق على الدولة الإيرانية بالعقوبات الاقتصادية التي ضربت قطاعي النفط والبنوك الإيرانية، ومع قلاقل سياسية داخلية مع الاستعداد لانتخابات رئاسية جديدة في يونيو القادم، ومع مشكلات خلافة خامنئي، وتهديد النظام الديني الحاكم للبلاد بكامله في إطار الصراع مع الحرس الثوري والقوى الإصلاحية، فإن الداخل الإيراني ذاته مهدد بإعادة التشكل، مما قد يدفع النظام الإيراني بقيادة خامنئي لاتخاذ قرارات مؤلمة من أجل الحفاظ على هوية النظام الديني للبلاد، بعقد صفقة مع الولايات المتحدة- الشيطان الأكبر- خاصة مع ارتفاع أسعار المواد الغذائية والوقود داخليًّا، وهو ما يهدد بفوران اجتماعي وشيك.

كما أن الغرب قد يرى فرصة سانحة هو الآخر في عقد صفقة مع إيران، بسحب القوات الأمريكية من منطقة الخليج، وفتح المجال أمام انتشار النفوذ الإيراني لإدخال المنطقة في أتون حرب طائفية تصب في النهاية في مصلحة الكيان الصهيوني، الذي يخشى من مخرجات الربيع العربي عليه، وصعود الأنظمة الإسلامية السنية وتحالفها في إطار جديد، ربما يكون أكثر فاعلية هذه المرة من «محور الممانعة» الكلامية السابق؛ فهذا الخيار قد يكون هو الأسمى للولايات المتحدة وإسرائيل والمتمثل في: نشوب حرب طائفية تأكل الأخضر واليابس، وتُضعف الجانبين السني والشيعي، وإلهاء الأنظمة الإسلامية عن خططهم لزيادة نفوذهم الإقليمي، وإجراء الإصلاحات الاقتصادية والهيكلية داخليًّا، لمنع نشوء مصر كقوة إقليمية من جديد، وتبقى مشكلات هذا السيناريو للولايات المتحدة فقط هو تأمين النفط الخليجي.

وتلجأ الدراسة إلى استخدام المنهج الوصفي التحليلي في الشق الأول منها، ثم منهج السيناريوهات؛ لمحاولة استشراف خيارات إيران ومسارات الثورة السورية، ومن ثَم شكل تحولات الخريطة الإقليمية في المنطقة.

وتعتبر الدراسات المستقبلية أن مفهوم التغير هو وحدة التحليل التي ترتكز عليها أغلب تقنيات الدراسات المستقبلية، حيث يتم رصد مجموعة من العوامل لها علاقة بالتغير في الأحداث، منها تحديد ورصد التغير، وكذلك تحليل أسباب التغير، والبعد الزمني لهذا التغير[١]، وكذلك بناء السيناريوهات، والتي هي عبارة عن «وصف لوضع مستقبلي ممكن أو محتمل أو مرغوب فيه، مع توضيح لملامح المسار أو المسارات التي يمكن أن تؤدي إلى هذا الوضع المستقبلي، وذلك انطلاقًا من الوضع الراهن أو من الوضع الابتدائي المفترض»[٢].

كما تحاول الدراسة أن تجيب عن السؤال البحثي الرئيس الآتي: ما هي خيارات إيران في الثورة السورية وتداعياتها على المنطقة؟ ويتفرع عنها الأسئلة البحثية التالية: ما هي مرتكزات القوة الإيرانية في المنطقة؟ ما هي مخاطر استبدال القوة الإيرانية الناعمة بقوتها الصلبة؟ ما هي سيناريوهات الصدام والاتفاق بين المحورين السني والشيعي؟ ما هي حدود التحرك الإيراني في ظل العقوبات الاقتصادية والضغوط الداخلية؟ ما هي سيناريوهات المستقبل بناء على مخرجات الثورة السورية؟

وتنقسم الدراسة إلى مقدمة وأربعة محاور رئيسة وخاتمة.

المحور الأول
الثورة السورية وساحة الصراع في المنطقة ومرتكزات القوة الإيرانية

أصبحت سوريا تمثل ساحة حرب إقليمية، وليست مجرد دولة ذات سيادة؛ أصبحت بمثابة الثقب الأسود الذي يجتذب صراعات النفوذ من الشرق والغرب: إيران، السعودية، تركيا، مصر، روسيا، الصين، الغرب، وأصبحت الدولة السورية مشطورة إلى نصفين تقريبًا: نصف شرقي تسيطر عليه المقاومة السورية، بدعم من الدول السنية والغرب، وشطر غربي يسيطر عليه النظام العلوي، بدعم من إيران وسوريا والصين. ومع تدفق المقاتلين السنة للقتال إلى جوار المقاومة، تدفقت قوات الحرس الثوري الإيراني للقتال إلى جانب النظام العلوي، بتقديم الدعم اللوجستي والأسلحة والإسناد القتالي، وهي المرة الأولى التي تعلن فيها طهران صراحة عن وجود للحرس الثوري داخل أراض دولة أجنبية[٣]، وهو ما يمثل نقطة تحول جديدة في النفوذ الإيراني بدخولها مرحلة القوة الصلبة، بعد أن كان النظام يعتمد بصورة كبيرة على قوته الناعمة، ودعمه السياسي والمالي والمعنوي للدول الحليفة أو التابعة له.

والقواعد الحاكمة غير المعلنة لصراع النفوذ الإقليمي والدولي في سوريا حتى الآن هي كالتالي:

١- إذا تدفق المقاتلون السنة للقتال إلى جوار المعارضة، فإن إيران ومعها حزب الله ترسل ميليشياتها وقوات الحرس الثوري[٤].

٢- إذا تم التدخل العسكري العلني من الدول السنية، فإن طهران ستفعِّل اتفاقية الدفاع المشترك الموقعة مع

(١) وليد عبد الحي، «مناهج الدراسات المستقبلية وتطبيقاتها في العالم العربي»، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، الطبعة الأولى ٢٠٠٧م، ص: ١١.

(٢) إبراهيم العيسوي، بحث في مفهوم السيناريوهات وطرق بنائها في مشروع مصر ٢٠٢٠، الورقة ١ (القاهرة: منتدى العالم الثالث، مكتبة الشرق الأوسط، ١٩٩٨م)، ص: ٧.

(٣) تصريحات لقائد الحرس الثوري الإيراني نقلتها سي إن إن العربية بتاريخ ١٦ سبتمبر، على الرابط التالي: http://arabic.cnn.com/2012/syria.2011/9/16/iran.says.it.has.forces.as.advisers.in.syria/index.html .

(٤) المصدر السابق.

نظام الأسد[1]، وهذا سيتطلب تدخلاً روسيًا أيضًا[2].

٣- إذا سمحت الدول الحليفة للمعارضة بنقل السلاح والعتاد، فإن الأمر ذاته سيفعله حلفاء بشار، وهو ما يتم فعليًا على الأرض عن طريق روسيا[3].

٤- محاولات فرض عقوبات اقتصادية على سوريا من أجل إسقاط نظام بشار تواجه بمساعدات اقتصادية إيرانية وروسية[4].

٥- محاولة عزلة سوريا في المحافل الدولية تقابلها مساعدات دبلوماسية روسية وصينية في الأمم المتحدة بحق النقض «الفيتو» ضد أي قرار باستخدام القوة ضد النظام السوري[5].

وتعتمد الدولة الإيرانية على عدة مرتكزات من أجل بسط هيمنتها ونفوذها على المنطقة العربية؛ حيث ترتكز إيران على ثلاث نقاط أساسية، وهي الطائفية الشيعية في العراق، وسيطرتها السياسية ونفوذها، والنظام العلوي في سوريا، وحزب الله في جنوب لبنان (إلى جانب الحوثية في اليمن)، فكانت تلك المرتكزات الثلاثة بمثابة العرى الوثيقة لإحكام سيطرتها على المنطقة، وبسط نفوذها الإقليمي، **ولكن ذلك النفوذ الإقليمي الإيراني تهدد بالنقاط التالية:**

١- الصعود التركي:

مثَّل الصعود التركي في المنطقة نهشًا من النفوذ الإيراني، وسوريا في القلب من ذلك، حيث عقدت تركيا عدة اتفاقات تجارية قبل الربيع العربي مع نظام بشار، وفتحت الحدود بين البلدين، وأدى ذلك إلى زيادة تأثير الدولة التركية على سوريا، وربط مصالحها بأنقرة؛ وذلك عبر فتح طرق التجارة بين البلدين وتحريرها، بالإضافة إلى مشروعات لنقل النفط والغاز ، وتطوير العلاقات التركية السورية لتصل إلى مرتبة «شراكة استراتيجية»، استفادت منها سوريا في مجالات عديدة؛ حيث وقعت سورية وتركيا على ٥١ اتفاقية ثنائية في مختلف المجالات، من بينها اتفاقيات تعاون في مجالات البحث العلمي وإحداث برامج علمية مشتركة، والاعتراف المتبادل بالشهادات العلمية بين جامعات البلدين، وإحداث أقسام للغة العربية في الجامعات التركية وأقسام للغة التركية في الجامعات السورية [6].

وبالرغم من الانتكاسة التركية الأولية مع بداية اندلاع الثورة السورية وخسران تركيا للمليارات التي ضختها في تلك الشراكة، إلا أن الثورة السورية أدت إلى زيادة النفوذ التركي وتدخله في الشئون السورية بدعم المعارضة بالسلاح وباستقبال اللاجئين السوريين في مرحلة لاحقة على بدايات الثورة السلمية، وذلك بمجرد تحولها إلى الدموية، باستضافة قادة «الجيش السوري الحر»، وبمدهم بالمعلومات الاستخباراتية وبالدعم اللوجستي، وبمحاولة الضغط على نظام الأسد من أجل التنحي عن السلطة، وبالرغم من أن الثورة السورية مثلت انتكاسة لأنقرة في المجالات الاقتصادية، إلا أن الثورة السورية زادت من النفوذ السياسي والعسكري التركي في المنطقة، واجتذبت التحركات التركية ثناء السوريين المعارضين للنظام، وكذلك معظم شعوب المنطقة، مما أكسبها قوة ناعمة

(١) «إيران تلوح لواشنطن باتفاقية الدفاع المشترك وتحذر من مهاجمة سورية»، جريدة الوطن السورية بتاريخ ٢٠١٢/٩/١٨م، على الرابط التالي: . http://www.alwatan.sy/dindex.php?idn=127260

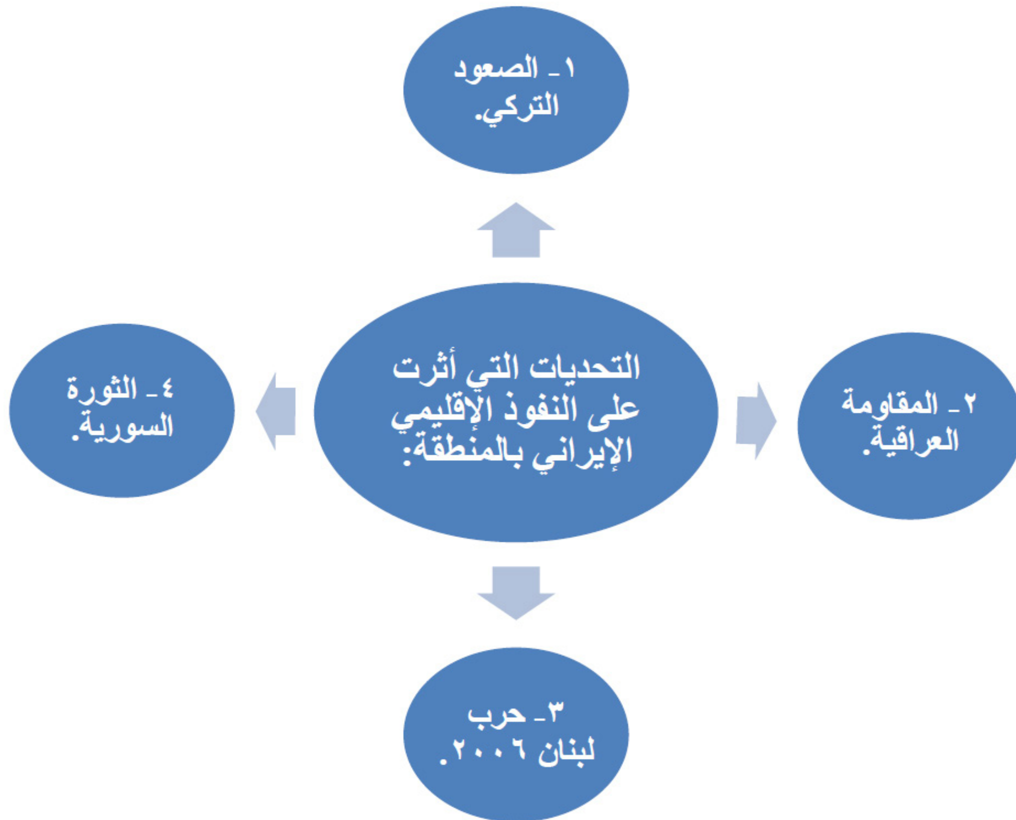
(٢) روسيا: التدخل العسكري في سوريا خط أحمر، راجع تصريحات مسئولين روس لموقع روسيا اليوم على الرابط التالي: http://arabic.rt.com/news_all_news/news/593468/ .

(٣) «لافروف يؤكد شرعية صادرات السلاح الروسي لسورية»، وكالة أنباء موسكو، في ١٣ يونيو ٢٠١٢م، على الرابط التالي: http://anbamoscow.com/rus_politics/20120613/375579276.html# . وراجع أيضًا: «سوريا تواجه غضبًا بسبب شحنة أسلحة روسية جديدة»، رويترز في ١٩ يونيو ٢٠١٢م، على الرابط التالي: http://ara.reuters.com/article/topNews/idARACAE85I09G20120619

(٤) «صحيفة فرنسية: إيران توافق على تقديم مساعدة لسورية بقيمة ٥,٨ مليار دولار»، روسيا اليوم في ١٥ يوليو ٢٠١١م، على الرابط التالي: http://arabic.rt.com/news_all_news/news/562398/.

(٥) «روسيا والصين تصوتان ضد مشروع قرار سوريا في مجلس الأمن»، الأهرام في ٤ فبراير ٢٠١٢م، على الرابط التالي: http://www.ahram.org.eg/The-First/News/129101.aspx .

(٦) سوريا نيوز في ٣ فبراير ٢٠٠٩م.



إضافية على دول الربيع العربي.

وهناك منافسة تاريخية بين الدولتين الصفوية والعثمانية على قيادة المنطقة، وورثت إيران وتركيا تلك المنافسة على النفوذ الإقليمي[(١)]، كما أن تركيا مرشحة للعب دور إقليمي أكثر اتساعًا باعتبارها حليفة غربية وعضو في النيتو، يمكن أن يخول لها مهام إعادة ضبط النظام الإقليمي بعد انسحاب الولايات المتحدة من العراق، وإعطائها نفوذًا أكبر في إدارة شئون المنطقة، مما سيؤدي بالضرورة إلى تصادم تركي إيراني في النفوذ، مرشح بأن تبلغ ذروته مع انهيار النظام السوري أو تطور الصراع إلى صراع عسكري أو حرب طائفية إقليمية[(٢)].

٢- المقاومة العراقية:

أدت المقاومة العراقية إلى وقف تنامي النفوذين الإيراني والأمريكي في المنطقة، وأدت إلى إجهاض خطط إدارة بوش الابن في توسيع نطاق السيطرة على العراق، وجعلها منصة إطلاق لغزو الدولة السورية، أو لإبراز احتلالها للعراق على أنه عصا غليظة لكل المنطقة، ولكن المقاومة العراقية أفشلت ذلك المخطط، كما أن المثلث السني الذي يبدأ حدوده من بغداد ويتمدد حتى الحدود السورية كلها تعتبر أرضًا محروقة أمام النفوذ الإيراني، ويمثل كذلك حاجزًا طبيعيًّا بعشائره السنية وميليشياته المقاومة أمام الامتداد الشيعي، الذي يهدف إلى السيطرة على الدولة العراقية، والتلاعب بمقدراتها وثرواتها ومكانتها كدولة رائدة في المنطقة، وتجييرها لصالح النفوذ الإيراني، وبدا هذا التلاعب واضحًا في مدى النفوذ الإيراني داخل العراق وعلى حكوماتها المتعاقبة[(٣)]، إلى درجة رغبة

(١) د. عباس إسماعيل صباغ، «تاريخ العلاقات العثمانية الإيرانية» دار النفائس، ١٩٩٩م، ص: ٢٥.

(٢) راجع حوارًا مع الكاتب السوري ميشيل كليو بعنوان: «الدور التركي دور مهم ويؤشر إلى دور عالمي»، حوار مع موقع «فرانس ٢٤»، على الرابط التالي: http://www.france24.com/ar/20110531-michel-kilo-syria-important-turkish-role-indicates-global-role .

(٣) راجع دراسة: «النفوذ الإيراني واستراتيجيته في العراق»، موقع البينة، على الرابط التالي: http://www.albainah.net/index.aspx?functionItem&id14686 =

حكومة طهران في إملاء القرارات السياسية على حكومة المالكي، وضمان أن الحكومة العراقية لا تتخذ أية إجراءات بدون موافقة طهران، إلا أن المقاومة العراقية جاءت لتحبط ذلك النفوذ بصورة كبيرة، واستطاعت أن توقف إلى حد كبير مذابح المليشيات الشيعية بحق أهل السنة بردعهم قدر الإمكان عن تصفية السنة عرقيًّا، مع تواطؤ الجيش العراقي الذي (أصبح) معظمه من الشيعة والمخترقين إيرانيًّا[1].

٣- حرب لبنان ٢٠٠٦م:

بالرغم من الأداء الجيد نسبيًّا لقوات حزب الله في حرب ٢٠٠٦م ضد الكيان الصهيوني، وتمكن قواته من تدمير عدة دبابات ميركافاه، وإسقاط أسطورتها، وإعطاب مدمرة إسرائيلية بصواريخ بحرية مستوردة من إيران على السواحل اللبنانية في بداية الحرب، مما أدى إلى تحييد سلاح البحرية الإسرائيلي، إلا أن المحصلة النهائية جاءت في تصريحات لحسن نصر الله بعد الحرب، التي قال فيها: «إنه لو كان يعلم أن رد الفعل الإسرائيلي بتلك القوة لما اختطف الجنديين، مما جعل الصحافة الإسرائيلية تحتفي بهذا التصريح، واعتبره بيريز علامة على خسران حزب الله للحرب»[2].

وهذا يثبت أن الرد الإسرائيلي بالقوة المفرطة في ظل صمت دولي على الانتهاكات الإسرائيلية، وتدميرها للبنية التحتية اللبنانية، مثّل رادعًا لقوات حزب الله، مما يمنعه من تكرار التجربة، أو استخدام طهران لحزب الله كذراع إيرانية في المنطقة؛ وذلك لأن السخط الشعبي في الداخل اللبناني سيكون كبيرًا بعدما أدت التحركات الأحادية لحزب الله إلى تدمير لبنان، لذا مثلت حرب صيف ٢٠٠٦م نقطة فاصلة فيما يتعلق بحدود قوة حزب الله، وتحركه بصورة منفردة عن الدولة اللبنانية ومصلحتها العليا، أو تحريك إيران له لتخفيف الضغط عليها، أو لتوسيع نفوذها الإقليمي، وتزايد الضغوط على حزب الله من أجل كبح جماح سلاحه وخضوعه لسيطرة الدولة اللبنانية، وعدم استخدام سلاحه في أي حرب إقليمية، وبضغوط من كافة القوى السياسية من بينها قوى «١٤ آذار» وغيرها بعدم استخدام سلاحه في أي حرب إقليمية[3].

إن الثورة السورية هي واحدة من أكبر انتكاسات النظام الإيراني، بل إن مأساته لن تتوقف عند حدود سقوط النظام العلوي الداعم له، ولكن بنشوء دولة سنية - حتى ولو بتقسيم البلاد بنشوء أخرى علوية على الساحل- فالدولة السورية الوليدة سواء كانت كاملة أم منقوصة، ستتصل بالمحاور التركية السعودية المصرية في المنطقة، وستمثل حاجزًا قويًا أمام النفوذ الإيراني.

٤- الثورة السورية:

مثلت الثورة السورية انكسارًا كبيرًا للنفوذ الإيراني في المنطقة، وافتقاده إلى أحد أهم مرتكزاته بتحالفه مع النظام العلوي في سوريا، فقط انكسرت إحدى أهم درجات السلم الواصل إلى البحر المتوسط، مما أدى بالنفوذ الإيراني إلى التراجع والانحياز إلى حدود مناطق الشيعة في شرق العراق، وأدى ذلك أيضًا إلى خفوت هيمنة إيران على الداخل اللبناني، بانكسار أهم جسر لتصدير السلاح والأموال والنفوذ والقوة الناعمة إلى حزب الله داخل لبنان، فنظام بشار الابن كان يوفر لحزب الله الغطاء السياسي، وينتقم

=وهي عبارة عن تجميع لأخبار ومواد متعلقة بتنامي النفوذ الإيراني في العراق واستراتيجية طهران في ذلك.

(1) Kenneth M. Pollack, «Prospects for Increased Iranian Influence in Iraq», Brookings, 12 November 2011, on this link: http://www.brookings.edu/research/testimony/2011/11/15-iran-iraq-pollack

(2) Nasrallah: We wouldn,t have snatched soldiers if we thought it would spark war, Haaretz, 27 Aug. 2006, on: http://www.haaretz.com/news/nasrallah-we-wouldn-t-have-snatched-soldiers-if-we-thought-it-would-spark-war-1.199556.

(٣) رئيس الوزراء اللبناني الأسبق فؤاد السنيورة يطالب حزب الله بالتعهد بعدم استخدام سلاحه إقليميًّا، جريدة السياسة، ٢٤ سبتمبر ٢٠١٢م، على الرابط التالي: http://www.al-seyassah.com/AtricleView/tabid/59/smid/438/ArticleID/210023/reftab/36/Default.aspx .

من معارضيه، وينكّل بهم، بما له من سيطرة على الداخل اللبناني بالنفوذ والأموال السورية، لذا فإن الثورة السورية هي واحدة من أكبر انتكاسات النظام الإيراني، بل إن مأساته لن تتوقف عند حدود سقوط النظام العلوي الداعم له، ولكن بنشوء دولة سنية – حتى ولو بتقسيم البلاد بنشوء أخرى علوية على الساحل- فالدولة السورية الوليدة سواء كانت كاملة أم منقوصة، ستتصل بالمحاور التركية السعودية المصرية في المنطقة، وستمثل حاجزًا قويًا أمام النفوذ الإيراني.

المحور الثاني

انحسار التأثير الناعم للدولة الإيرانية ومخاطر استبداله بالقوة الصلبة في سوريا

تتمثل مرتكزات القوة الإيرانية في المنطقة في بسطها لنفوذها على الخريطة الممتدة حتى سواحل البحر المتوسط في الجنوب اللبناني، بما تملكه من عناصر القوة من مصادر (أموال)، ونفوذ (قوة ناعمة)، وإمكانات (قوة صلبة)، وظلت إيران في الفترة الماضية تعتمد بصورة أساسية على نفوذها الناعم في المجالات الآتية:

١- استغلال أموال الخمس، وتمويل النظام العلوي في سوريا، كما أسلفنا(١)، بالإضافة إلى حزب الله اللبناني كمنصة انطلاق ونفوذ في المنطقة، عن طريق نظام بشار أيضًا(٢). وقد ساهمت الحروب الأمريكية في المنطقة بإحداث وفرة مالية لدى النظام الإيراني بسبب ارتفاع أسعار النفط، والتي استغلتها طهران في الإنفاق على تسليحها وعلى مشروعاتها التوسعية.

٢- استغلال السياحة الإيرانية لسوريا والعراق في إنعاش القطاع السياحي السوري (عائدات السياحة لسوريا ٥٠٠ مليون دولار نظير توافد مليون سائح إيراني سنويًا قبل الثورة السورية)(٣)، وفي الوقت ذاته بتدعيم النفوذ الناعم لإيران وهيمنتها على هذا القطاع الاقتصادي المهم للدولة السورية، شحيحة المصادر والموارد الطبيعية والتي كانت تعتمد بصورة كبيرة على قطاع الخدمات(٤)، مما أدى إلى ربط مصالح السوريين بالمصلحة الإيرانية اقتصاديًا وثقافيًا.

٣- محاولة نشر نفوذها الناعم عن طريق تصدير نموذجها للثورة و«الممانعة» [للإمبريالية والرأسمالية الغربية] انطلاقًا من نظامها الديني الشيعي ودوران النظام العلوي السوري في فلكها كدولة تابعة Satel-lite State، واستغلال حركة عدم الانحياز كمنصة لاستقطاب الدول الساقطة من الفلك الغربي، وتقاطع مصالحها مع روسيا والصين وفنزويلا، وبعض الدول المؤثرة الأخرى في الحركة من أجل الدعوة إلى إنشاء نظام عالمي «أكثر عدلاً»، وهو ما تبنته قمة طهران الأخيرة لعدم الانحياز(٥)، وهذا قد يتقاطع في بعض الفترات مع القوميين واليساريين العرب المنادين أيضًا بالممانعة ومقاومة نفوذ الغرب الإمبريالي، في حين أن الهدف الأساس للدولة الإيرانية هو بسط نفوذها الناعم وهيمنتها على المنطقة.

٤- استغلال نموذجها الثقافي المحافظ، ووسائل إعلامها وقنواتها الفضائية (الناطقة بالفارسية والعربية والإنجليزية) بالتعاون مع الدولة السورية بقنواتها وصناعة الدراما فيها، من أجل تغيير قناعات شعوب المنطقة، ومهاجمة أنظمتها السنية، لإقناعها بالانحياز إلى قضاياها التاريخية ضد أهل السنة، ويتقاطع ذلك أيضًا مع صناعة الدراما السورية

(١) راجع المصدر قبل السابق.

(٢) «نصر الله : أموال إيران تكفينا ولا نتاجر بالمخدرات وغسيل الأموال»، الموجز بتاريخ ٢٠١٢/٨/٢م، نقلاً عن جريدة الفجر، على الرابط التالي: http://almogaz.com/politics/news/2012/02/8/181629 .

(3) Iranian influence in the levant, egypt, iraq, and afghanistan, A Report by the American Enterprise Institute and the Institute for the Study of War, Authors: Frederick W. Kagan, Ahmad K. Majidyar, Danielle Pletka, Marisa Cochrane Sullivan, May 2012, p: 26.

(٤) ملامح الاقتصاد السوري، مركز الاختبارات والأبحاث الصناعية السوري، على الرابط التالي: http://itrc.gov.sy/index.php?d=50 .

(٥) وكالة أنباء «مهر نيوز» الإيرانية، «نص البيان الختامي لقمة عدم الانحياز»، على الرابط التالي: http://www.mehrnews.com/ar/NewsDetail.aspx?NewsID=1686005 .

التي كانت قد برزت بصورة كبيرة في حقبة ما قبل الثورات، واستطاعت أن تنتشر انتشارًا قويًا في معظم القنوات الفضائية، وباتت صناعة الدراما إحدى أهم الصناعات في الدولة السورية قبل الثورة[1]، واستطاعت سوريا -من خلال ذلك الانتشار الدرامي- تمرير رسائلها وتوجهها لمشاهدي المنطقة؛ سواء تلك الرسائل القادمة من النظام العلوي نفسه أو من طهران؛ حيث شاركت طهران في تمويل مسلسلات سورية ودعمت صناعة الدراما بصورة كبيرة، كما أنتجت أفلامًا مدبلجة باللهجة السورية، ونشرتها في قناة «آي فيلم» الإيرانية[2].

وكانت قناة <آي فيلم> الإيرانية تهدف إلى دعم تخطيط طهران للاعتماد «على الحليفة سورية في تحقيق النجاح الجماهيري المطلوب عربيًا من خلال اللهجة السورية (الشامية) التي باتت الأقرب إلى جميع الناطقين بالعربية بعد نجاح الدراما السورية خلال السنوات الأخيرة في اختراق قلوب المشاهدين العرب واهتمامهم، وتحقيقها أكثر نسب مشاهَدة (وكذلك دبلجة الأفلام والمسلسلات التركية ذائعة الصيت بتلك اللهجة)، وكشف حسين مرتضى مدير مكتب قنوات <العالم> و<برس TV> و<آي فيلم> في سورية أن <آي فيلم> دبلجت أكثر من ١٠ مسلسلات إيرانية باللهجة الشامية للعرض بالتعاون مع خمس شركات إنتاج فني سورية، مبينًا أن هناك ٧ أعمال أخرى يجري العمل على دبلجتها حاليًا باللهجة الشامية أيضًا.

وأوضح مرتضى لـ <القدس العربي> أن <آي فيلم> ستُنتج لاحقًا برنامجًا نقديًا حول السينما والدراما العربية والإسلامية، ومساهمتها في ترسيخ ثقافة مجتمعاتها بمشاركة نجوم الفن والإخراج في سورية، وأجرى فنيو وخبراء القناة الإيرانية زيارات عديدة لشركات إنتاج سورية وممثلين ومخرجين سوريين لتبادل الخبرات بما يخدم مصلحة الدراما في إيران وسورية، وكانت القناة قبل الثورة تستعد لإطلاق حملة إعلانية في سورية[3].

مخاطر استبدال القوة الإيرانية الناعمة بأخرى صلبة:

حتى وقت قريب لم تكن طهران لتعترف بوجود قوى وأفراد لها داخل سوريا، ولكن اليوم فإن إيران تعلن ذلك صراحة بوجود عناصر من الحرس الثوري على الأراضي السورية[4]، بل وتلوح بتنفيذ اتفاقية الدفاع المشترك مع سوريا[5]، وأن إيران سترد في حالة تدخل خارجي ضد نظام الأسد[6].

وبالرغم من أن بنود اتفاقية الدفاع المشترك بين البلدين غير معلنة وغير معروف الأطراف الأخرى التي وقعت عليها عام ٢٠٠٦م، إلا أنه من المتوقع أن يكون حزب الله اللبناني أحد الموقعين عليها، وأنه سيحاول التدخل في حالة شن هجوم غربي على نظام الأسد، بالرغم من قيود ذلك كما أوضحنا سلفًا، إلا أن الحزب لن يستطيع على الأغلب مقاومة إغراءات

(١) راجع مقال: «صناعة الدراما السورية كمنجز اقتصادي»، موقع وزارة الثقافة السورية، في ٢٠١٢/٥/٢٧م، على الرابط التالي: http:// www.afak.cinemasy.com/ .

(٢) راجع: «مسلسلات إيرانية دبلجت للهجة السورية في دمشق والعمل على سبعة مسلسلات أخرى»، القدس العربي في ٢٠١٠/٩/١٣م، على الرابط التالي: http:// alquds.co.uk/index.asp?fname=today%5C13z47.htm&arc=data%5C2010%5C09%5C09-13%5C13z47.htm، وكذلك أنتجت سوريا مسلسلات: «الفتنة الكبرى: الحسن والحسين»، والذي كان اسمه الأصلي «معاوية والحسن والحسين»، والكثير من المسلسلات الأخرى. (يمكن مراجعة محتويات القناة على الرابط الرسمي لها: /http://ifilmtv.ir).

(٣) المصدر السابق، وكان ذلك قبل اندلاع الثورات العربية التي أجهضت - أو أوقفت حتى الآن - ، المد الثقافي الإيراني وغزوه للمنطقة.

(٤) تصريحات لقائد الحرس الثوري الإيراني، نقلتها سي إن إن العربية بتاريخ ١٦ سبتمبر، على الرابط التالي:.http://arabic.cnn.com/2012/syria.2011/9/16/iran.says.it.has.forces.as.advisers.in.syria/index.html

(٥) إيران تلوح لواشنطن باتفاقية الدفاع المشترك، وتحذر من مهاجمة سورية»، جريدة الوطن السورية بتاريخ ٢٠١٢/٩/١٨م، على الرابط التالي: http://www.alwatan.sy/dindex.php?idn=127260

(٦) «مسئول: إيران سترد إذا هاجمت أمريكا سوريا»، اليوم السابع، الأول من سبتمبر ٢٠١٢م، على الرابط التالي:.http://www1.youm7.com/News.asp?NewsID=772709&.

الحـــرب الطائفية واشـــتراكه فيها، حتـــى لو بصورة محـــدودة وغير معلنـــة لكي يتفـــادى غضب الداخل اللبناني، باســـتخدام ترسانته من الأسلحة، بالإضافة إلـــى خبراتـــه القتالية التي اكتســـبها إبـــان حروبه ومناوشـــاته مع الكيان الصهيوني، هذا بالإضافة إلى جيش المهدي في العراق وغيره من الميليشيات الشيعية التي تدور في الفلك الإيراني، والتي يصل عددها إلى خمس عشرة ميليشيا مسلحة إيرانيًا[١].

المليشيات الشيعية المسلحة بالعراق [٢]	
١. ميليشيا جيش المهدي.	٩. ميليشيا بدر.
٢. فِرَق الموت.	١٠. حزب الدعوة ـ الجناح العسكري.
٣. المجلس الأعلى لتحرير العراق.	١١. جند الإمام.
٤. كتائب المختار.	١٢. قوات العراقيين الأحرار.
٥. جند السماء.	١٣. حزب ثأر الله.
٦. حركة المجاهدين.	١٤. عصائب أهل الحق.
٧. حركة الإمام الرباني.	١٥. المجاميع الخاصة.
٨. حركة حزب الله في العراق.	

وذلك التدخل الإيراني بقوتها الصلبة (والميليشيات التابعة لها) مرهون بتطور الصراع في سوريا، ويمكن أن يحدث في أحد الاحتمالات التالية:

١- التدخل العســكري الغربي المباشــر في سوريا بدعم تركي/ عربي.

٢- تبــدل ميزان القوة في الداخل الســوري بتقدم المقاومة، ووصولها إلى مشارف معاقل النظام بالغرب السوري، مما يهدد بسقوطه، وسقوط معاقل أسلحته الثقيلـــة ومطاراتـــه ومســـتودعاته الكيماوية في يد المقاومة.

٣- التحرير الكامل للشـــرق السوري على يد القوى السنية بفقدان ســـيطرة نظام بشار الأسد على تلك المناطق بصورة كاملة (أي بتحريمه على الطيران وعلى الآليات الثقيلة لنظام بشار)، وإعلان تحريره من قبل المقاومة، وإعلان إنشاء دولة سنية وانحياز نظام بشار إلى الغرب بإعلان دولة علوية، وتدفق الأسلحة الثقيلة إلى الدولة الســـنية الجديدة، وارتفاع وتيرة الصدام المسلح بحرب شاملة بين الجانبين.

أشـكال الدعم الإيراني الصلب لنظام الأسـد في تلك السيناريوهات:

١- تصدير الأسلحة التي يمكنها تغيير قواعد اللعبة، سواء عبر البحرية الإيرانية أو عبر روسيا، مثل أسلحة الدفاع الجوي الروسية المتطورة (S ٣٠٠ وما بعدها)، وذلك لاستهداف الطيران الغربي، وكذلك صواريخها البحريـــة التي أُجريت عليها اختبـــارات مؤخرًا[٣] من أجل اســـتهداف حاملات الطائرات الغربية التي من المفترض أن تنطلق منها العمليات الجوية، وذلك سواء بصورة مباشـــرة عن طريق سفن الإمدادات الإيرانية، أو عن طريق روسيا عبر ميناء طرطوس الذي تتمركز فيه قاعدتها البحرية[٤].

٢- إرســـال الأفراد المقاتلـــين والمدربين والموجهين العسكريين، والمخططين الاستراتيجيين الإيرانيين إلى

(١) حمدي الســـعدي، الميليشـــيات العاملة في الساحة العراقية وتحديات المواجهة، موسوعة الرشيد، على الرابط التالي:- http://www.alrashead.net/index.php?partd=24&derid=973.

(٢) المصدر السابق.

(٣) لدى إيران مجموعة من الصواريخ البحرية المتطورة وقد أجرت عليها اختبـــارات في مناورة «الولاية ٩٠» البحريـــة، والتي أُجريت في يناير ٢٠١٢م، وأطلقـــت صواريخ «قادر» و«نور» و«نصر» و«محراب» وهي ما بين طويلة ومتوسطة المدى من صواريخ سطح سطح. راجع: رويتر على الرابط التالي: http://www.reuters.com/article/2012/01/02/us-iran-missile-idUSTRE80007E20120102 .

(٤) لمزيد معلومات عن قاعدة طرطوس راجع صحيفة الزمان، على الرابط التالي:. http://www.azzaman.com/?p=11155

سوريا، بالإضافة إلى مقاتلي حزب الله اللبناني.

٣- ضخ الذخيرة التقليدية من أسلحة خفيفة وثقيلة إلى النظام الأسدي، وذلك لتعويض النقص في تلك الأسلحة.

٤- إرسال السلاح والمقاتلين إلى الأقليات الكردية في الشمال الشرقي السوري، بما لنظام الأسد من نفوذ عليها، لإحداث مشكلات إقليمية لكل من تركيا وللدولة السنية الناشئة[١].

٥- استغلال الميليشيات الشيعية في العراق من أجل ضخهم في تلك الحرب الطائفية[٢]، بإرسالهم إلى شرق سوريا من أجل سحب أطراف المقاومة السورية إلى الشرق بعيدًا عن المعاقل العلوية في الغرب، ومن أجل عدم تمكن الدولة الوليدة - في حال نشأتها - من بناء أنظمتها الدفاعية بتوجيه ضربات استباقية وإجهاضية لمنظوماتها العسكرية، وجعل خطوط إمدادها غير آمنة، سواء تلك التي تتصل بتركيا أو بالدول الأخرى عن طريق البر؛ حيث إن تلك الدولة في حال قيامها ستكون دولة مغلقة لا سواحل لها.

٦- تحريض النظام العراقي على تنفيذ عمليات عسكرية وأمنية في غرب العراق؛ من أجل تجفيف منابع الجهاديين، وشغلهم عن القتال في سوريا، ومن ثم تخفيف الضغط على نظام الأسد، وتجنيد الميليشيات الشيعية في تلك الحرب الطائفية لتنفيذ مذابح ضد أهل السنة في البلاد.

ولكن لا يزال هناك الكثير من التحديات الداخلية والخارجية أمام إيران لبث نفوذها الصلب في المنطقة.

المحور الثالث
التحديات الداخلية والخارجية أمام النفوذ الإيراني في سوريا والمنطقة

أزمة اقتصادية طاحنة:

وصلت الأزمة الاقتصادية الإيرانية إلى عدم قدرة نظام طهران على توفير المتطلبات الأساسية لشعبه، مثل اندلاع ما سمي بـ «اضطرابات الدجاج» بعد أن وصلت أسعاره إلى أرقام فلكية عجز معها المواطن العادي على شراء الدجاج، مع حث شبكات التلفاز المحلية على عدم بث صور أناس يأكلون الدجاج، [٣] وقد تضاعفت أسعاره في الآونة الأخيرة أكثر من ثلاث مرات، الأمر الذي دفع الإيرانيين من الطبقات الفقيرة المطحونة حتى الطبقة الوسطى إلى التعبير عن سخطهم بعد أن أصبحوا غير قادرين على شراء لحم الدجاج مثلما اعتادوا في الماضي، فقد خرج سكان نيسابور شمال شرقي إيران في مظاهرات في الشوارع سخطًا على تآكل قدرتهم الشرائية، والتهاب أسعار الدجاج، وبقية المواد الاستهلاكية الأساسية[٤]،

وصلت الأزمة الاقتصادية الإيرانية إلى عدم قدرة نظام طهران على توفير المتطلبات الأساسية لشعبه، مثل اندلاع ما سمي بـ «اضطرابات الدجاج» بعد أن وصلت أسعاره إلى أرقام فلكية عجز معها المواطن العادي على شراء الدجاج، مع حث شبكات التلفاز المحلية على عدم بث صور أناس يأكلون الدجاج، وقد تضاعفت أسعاره في الآونة الأخيرة أكثر من ثلاث مرات.

(١) نهاية اتفاق «أضنة» للسلام: طهران تلعب بورقة الأكراد، شفاف الشرق الأوسط، ٣ سبتمبر ٢٠١٢م، على الرابط التالي: http://www.mid-dleeasttransparent.com/spip.php?article19841 .

(٢) أفادت تقارير صحفية على لسان مسئولين عسكريين أمريكيين أن إيران تمد تلك الميليشيات بأحدث الأسلحة الإيرانية، وأنها فاقت في قوتها تنظيم القاعدة في بلاد الرافدين، راجع تصريحات الناطق باسم الجيش الأمريكي بالعراق العميد جيفري بوكانان على الرابط التالي: http://www.islammemo.cc/akhbar/arab/2011/08/17/132178.html .

(٣) راجع ذلك في مقالة كتبها مير جوادينفر في موقع بلومبرج، على الرابط التالي: http://www.bloomberg.com/news/2012-08-07/iran-s-big-crisis-the-price-of-chicken.html.

(٤) مقال بعنوان: «ماذا تخفي أزمة الدجاج في إيران؟» مترجم من جريدة ذي أطلانتيك، نشرته جريدة أخبار الخليج على الرابط=

وذلك بسبب العقوبات الغربية التي طالت قطاعي النفط والصيرفة الإيرانية،

وهذا سيضع قيودًا على أي تحركات عسكرية خارجية، لاسيما إذا كانت في مواجهة الغرب، وتهدد بردود فعل انتقامية تستهدف برنامجها النووي، بل وبنيتها التحتية، وتعطي مبررًا للقوى الغربية وعلى رأسها إسرائيل، التي تهدد بإعادة إيران إلى العصر الحجري مرة ثانية(١)، هذا بالإضافة إلى ارتفاع نسب التضخم إلى أرقام فلكية وهبوط العملة الإيرانية إلى مستويات قياسية متدنية، كما هبطت صادرات إيران النفطية بأكثر من ٥٠ في المائة إلى ١,٢ مليون برميل يوميًا، وإذا ما استمر الحظر لعام آخر فمن المتوقع أن تخسر إيران نحو ٤٨ مليار دولار أو نحو ١٠ في المائة من اقتصادها برمته، كما انخفضت العملة الإيرانية في الأول من أغسطس ٢٠١٢م بنسبة ٥٪.

تراجع إنتاج النفط الإيراني إثر العقوبات الغربية(٢)

كما تشير بيانات رسمية إلى أن المصانع الإيرانية تعمل بنصف طاقتها الإنتاجية وسط موجة كبيرة من إفلاس الشركات. وتصل مستويات التضخم إلى ٣٣ في المائة، في حين سجلت أسعار الدجاج واللحوم والحليب ارتفاعات تصل إلى ٨٠ في المائة خلال العام ٢٠١٢م(٣)، كما يقدر مركز الإحصاءات الإيراني معدل البطالة عند ١٢,٩٪ في أول ثلاثة أشهر من السنة الفارسية التي بدأت في مارس ٢٠١٢م، وذلك بانخفاض أكثر من نقطة مئوية عنه في فترة الأشهر الثلاثة السابقة(٤)، وتقول منظمة «أوبك»: إن صادرات النفط تراجعت إلى نحو ١,٢ مليون برميل يوميًا، مقارنة بنحو ٢,٣ مليون برميل، قبل فرض الحظر النفطي. وتشير إلى أن طهران تخسر نحو ١٣٣ مليون دولار أمريكي يوميًا بسبب ذلك الحظر(٥).

انسداد سياسي:

ومع بدء العد التنازلي للانتخابات الرئاسية في يونيو ٢٠١٣م والتي لن يشارك فيها نجاد طبقًا للدستور، فإن الأفق السياسي يبدو أنه يتجه إلى حالة من الانسداد ومرشح لمزيد من القلاقل السياسية في ظل عجز الحكومة عن توفير المتطلبات الأساسية للشعب الإيراني، مع بدء استعداد التيار الإصلاحي، وكذلك الحركة الخضراء للمنافسة في تلك الانتخابات في ظل وجود منافسة داخلية بين أفرع السلطة الإيرانية ذاتها، بين المؤسسة الدينية وبين الحرس الثوري وبين القوى الإصلاحية، ومن ورائهم الحركة الخضراء المدعومة غربيًا، وتفاعلات ذلك كله في ظل حرب قد تكون وشيكة سواء بضربة إسرائيلية، أو بهجوم أمريكي، أو بتدخل إيراني «محتوم» في سوريا في حال تطورت الأوضاع هناك حسبما أوضحنا سابقًا.

هذا بالإضافة إلى التطورات السياسية التي أفرزها الربيع العربي، وأدت إلى نشوء أنظمة سياسية في مصر وتونس تعبر عن المطالب الشعبية تجعل الداخل الإيراني يقارن بين مخرجات الربيع العربي وبين نظام معتمد على نظريات مثل ولاية الفقيه التي تضع السلطة الفعلية في البلاد في يد المرشد الأعلى، في حين تقلص من صلاحيات الأطراف الأخرى المنتخبة، مثل رئيس الجمهورية والبرلمان ومجلس الخبراء (المسئول عن تعيين وعزل المرشد الأعلى).

=التالي: http://www.akhbar-alkhaleej.com/m/article.php?articleid=45701.

(١) تصريحات إسرائيلية بالتهديد بإعادة إيران إلى العصر الحجري باستخدام القنبلة الكهرومغناطيسية، تايمز أوف إسرائيل، على الرابط التالي: http://www.timesofisrael.com/israel-could-destroy-irans-electric-network/ .

(2) James Bianco - July 16th, 2012, on this link: http://www.ritholtz.com/blog/2012/07/irans-crude-oil-production/

(٣) لمزيد من المعلومات راجع: « الاقتصاد الإيراني منهك.. و٣ دول آسيوية تحميه من الشلل»، صحيفة الاقتصادية السعودية، على الرابط التالي: http://www.aleqt.com/2012/08/10/article_681836.html.

(٤) راجع: «الإيرانيون تحت وطأة العقوبات»، تقرير للجزيرة.نت، نشر في ٢٠١٢/٩/٢٣م، على الرابط التالي: http://www.aljazeera.net/ebusiness/pages/9a300b0d-a993-42fc-a49c-4e25033f92e8 .

(٥) المصدر قبل السابق.

وتأتي الانتخابات الرئاسية القادمة في أعقاب اتهامات بتزوير انتخابات ٢٠٠٩م، وقمعها للحركة الخضراء وحبس قادتها، وهو ما يمثل ضغطًا على النظام السياسي الإيراني المأزوم بالأساس، وهو ما جعل الحركات الثورية تستلهم من الربيع العربي؛ حيث دعت أحزاب وتيارات مختلفة في المعارضة الإيرانية إلى المشاركة الواسعة في المظاهرات التي دعا إليها أنصار الإصلاح والتغيير في فبراير ٢٠١٢م، من أجل الالتحاق بركب الربيع العربي، وذلك عشية مرور عام كامل على اعتقال الزعيمين الإصلاحيين مير حسين موسوي ومهدي كروبي(١).

كما يبرز الدور السياسي للحرس الثوري الإيراني كقوة مهيمنة على مقدرات البلاد العسكرية والاقتصادية، فتشير التقارير إلى هيمنته على عديد من حقول النفط والغاز، وشركات النقل والطرقات، والسدود والبنوك ومشروعات الإسكان، حيث قام ببناء عشرات الآلاف من الوحدات السكنية للمستوطنين الفرس في الأحواز العربية، كما يمتلك نحو ٨١٢ شركة داخل إيران وخارجها، كما يُهيمن الحرس على أكثر من ١٧٠٠ مشروع حكومي في إيران(٢)، وكل ذلك يمثل ضغطًا على الشعب الإيراني المنهك اقتصاديًا وهو يرى تراكم الثروات في يد الحرس الثوري أو «الإخوة المهربين» كما وصفهم أحمدي نجاد(٣).

تحديات اجتماعية:

وفي ظل كل تلك التحديات السياسية والاقتصادية الداخلية، لا يمكننا أن نستثني الفروق الطبقية داخل المجتمع الإيراني (والتي جاء نجاد من أجل إلغائها، واجتذابه لأصوات الفقراء والمطحونين)، وكذلك الفروق الديموجرافية؛ حيث ينقسم المجتمع الإيراني إلى ست مجموعات رئيسة: الناطقون بالفارسية (٥٠٪)، الأذريون الترك (٢٣٪)، الأكراد (١١٪)، العرب (٥٪)، البلوش (٣٪)، التركمان (٣٪)(٤)، لذلك فإن ذلك المجتمع غير المتجانس عرقيًا وثقافيًا واجتماعيًا وطبقيًا يمكن لأي هزة أن تحدث فيه تغيرات عميقة، في حالة غياب القبضة الحديدية من نظام الملالي على أيدي الباسداران والباسيج، وفي حالة نجاح ثورات على غرار الربيع العربي.

كما أن استمرار الضغط الغربي والتهديد بتصعيد العقوبات، أو بضربات إجهاضية لبرنامجها النووي، سواء على يد إسرائيل أو الولايات المتحدة تمثل التحديات الخارجية الأكبر للدولة الإيرانية.

المحور الرابع
الخيارات الإيرانية، وأثرها على تحولات الخريطة الإقليمية

ثمة خيارات عديدة أمام الدولة الإيرانية للخروج من الأزمة السورية الحالية، وأزمتها بالتبعية، بأقل التكاليف، مثل الخيارات التالية:

١- عقد صفقة مع الغرب:

بتجميد البرنامج النووي الإيراني مقابل السماح لها بزيادة نفوذها في المنطقة تزامنًا مع الانسحاب الأمريكي، بالتقاطع مع المصالح الروسية والصينية مع كل من الغرب وإيران، مع تأمين انسياب النفط من مضيق هرمز(٥)، وكذلك التضحية بنظام بشار الأسد

(١) «مظاهرات لاستقبال ربيع ثوري جديد في إيران»، العربية نت، في ١٤ فبراير ٢٠١٢م، على الرابط التالي: /http://www.alarabiya.net articles/2012/02/14/194513.html.

(٢) عباس الكعبي، «هيمنة عصابات الحرس الثوري على الاقتصاد الإيراني»، جريدة «الاقتصادية» السعودية، في ٢٠/٩/٢٠١٢م، على الرابط التالي: http://www.alsharq.net.sa/2012/09/20/496797.

(٣) بي بي سي على الرابط التالي: /http://www.bbc.co.uk/persian iran/2011/07/110708_l44_iran_past_week_17tir.shtml.

(٤) التيارات السياسية في إيران، الجزيرة.نت، على الرابط التالي: http://www.aljazeera.net/books/pages/da59a188-fa37-468a-a4b9-862c193f749b.

(5) «War and Bluff: Iran, Israel and the United States», George Friedman, Stratfor, September 11, 2012, on: http://www.stratfor.com/weekly/war-and-bluff-iran-israel-and-united-states

في النهاية، وتحويل سوريا إلى النموذج اللبناني بتدخل إيراني قوي في سياساتها حتى لو حدثت انتخابات نزيهة بعد زوال النظام، وانقشاع غبار المعارك، وحينئذ إيران لن تكون قد فقدت سوريا بصورة كاملة، ولكن سيظل لديها أدواتها القوية مع الطائفة العلوية الغنية المتمركزة في الساحل الغربي على المتوسط، وبنفوذها داخل الدولة السورية حتى بعد سقوط النظام، بسيطرتها على مفاصل الاقتصاد والإعلام، وهذا الخيار سيعطي قبلة الحياة للنظام الإيراني؛ حيث سيتم رفع العقوبات الاقتصادية عنه، وانتشاله من أزمة سياسية ومجتمعية طاحنة تهدد بزوال نظام الملالي، وكذلك بالاحتفاظ بأدواته ونفوذه في كل من العراق وسوريا ولبنان.

الولايات المتحدة تبدو غير عازمة على ضرب إيران؛ لما يحمله ذلك من تداعيات على الاقتصاد العالمي بإغلاق مضيق هرمز الذي يمر منه ثلث النفط العالمي، كما أن إيران تتمتع باحتياطات نفطية هائلة وتستخدم مخزونها النفطي في إدارة علاقاتها الدولية ، ولكن على الجانب الآخر الوقت ليس في صالح الولايات المتحدة والغرب؛ حيث إن ساعة القنبلة النووية الإيرانية تدق وتقترب من نقطة اللاعودة.

وهذا الخيار ليس مستبعدًا؛ حيث إن الولايات المتحدة تبدو غير عازمة على ضرب إيران؛ لما يحمله ذلك من تداعيات على الاقتصاد العالمي بإغلاق مضيق هرمز الذي يمر منه ثلث النفط العالمي، كما أن إيران تتمتع باحتياطات نفطية هائلة، وتستخدم مخزونها النفطي في إدارة علاقاتها الدولية[١]، ولكن على الجانب الآخر الوقت ليس في صالح الولايات المتحدة والغرب؛ حيث إن ساعة القنبلة النووية الإيرانية تدق وتقترب من نقطة اللاعودة، كما أن إيران لن تتحمل الموقف الحالي الضار جدًا لاقتصادها، والذي يهدد بتماسكها الداخلي، لذلك فإن نوعًا من التفاوض باتجاه حل توافقي طويل الأمد بين الطرفين ليس مستبعدًا[٢]، وإنه في النهاية يمكن للطرفين أن يفكرا «فيما كان لا يمكن التفكير فيه» من قبل، بعقد صفقة شاملة بين الجانبين[٣].

كما صرح هاشمي رافسنجاني، رئيس مجمع تشخيص مصلحة النظام أن «العلاقات بين إيران والولايات المتحدة لن تظل سيئة إلى يوم القيامة، وأن إعادة العلاقات السياسية مع الولايات المتحدة أو عدم إعادتها ليس دليلاً على الالتزام بأسس ومبادئ الثورة، وإنما يتعلق ذلك بتحقيق المصلحة الوطنية في وقت معين، بحيث يمكن أن تكون المطالبة بإعادة هذه العلاقات ضد المصلحة الوطنية، بينما تكون في وقت آخر عين هذه المصلحة»، وأضاف أنه «لا يوجد ما يمنع من وجود علاقات اجتماعية وثقافية واقتصادية بين إيران والولايات المتحدة»[٤].

ويتبقى تحديات اتخاذ هذا القرار بين الجانبين هو كيفية تسويقه داخليًا لشعبيهما، وكذلك أمام العالم، وهو أمر قد لا يكون صعبًا أمام قيادة إيرانية برجماتية عقدت صفقات سرية من قبل مع الكيان الصهيوني، وكذلك مع الولايات المتحدة[٥]، وتعاونت مع واشنطن في إسقاط نظامي طالبان وصدام حسين من أجل مصالحها البرجماتية البحتة، كما أن إسرائيل تستطيع أيضًا التعايش مع إيران عن طريق الردع النووي

(١) روجر هارود، «نفط إيران ودوره في تحدي نفوذ الولايات المتحدة»، الدار العربية للعلوم ـ ناشرون، ومكتبة مدبولي، ٢٠٠٧م، ص: ١٣١.

(2) «Iran, the U.S. and the Strait of Hormuz Crisis», George Friedman, January 17, 2012 on: http://www.stratfor.com/weekly/iran-us-and-strait-hormuz-crisis

(3) «Thinking About the Unthinkable: A U.S.-Iranian Deal», George Friedman, Stratfor, March 1, 2010, on this link: http://www.stratfor.com/weekly/20100301_thinking_about_unthinkable_usiranian_deal

(٤) «خامنئي وتعديل جديد في الاستراتيجية الإيرانية»، دورية «مختارات إيرانية»، العدد ١٤٤، يوليو ٢٠١٢م، ص: ٤٣. (نقلاً عن (وكالة روز الإيرانية في ٣١/ ٥/ ٢٠١٢م). واللافت أن تلك التصريحات أبرزتها عدة صحف إيرانية في عناوينها الرئيسة على غير العادة، وكأن النظام يريد إرسال رسالة وتهيئة المجتمع إلى مثل ذلك الخيار في مرحلة لاحقة، ونشرت تلك التصريحات الصحف الراديكالية والإصلاحية على حد سواء.

(٥) راجع : ترينا بارسي، «التحالف الغادر «إيران، إسرائيل، أمريكا»، مكتبة مدبولي، ٢٠١١م.

الإسرائيلي، وأن طهران لن تفكر مطلقًا في ضرب إسرائيل[1]، بل على العكس فإن ذلك سيحقق مصالح تل أبيب في النهاية؛ حيث يمكن أن تمهد الصفقة الإيرانية الغربية إلى حرب شاملة في المنطقة يكون طرفاها السنة والشيعة، مع إطلاق يد إيران في تنامي نفوذها، والاصطدام الحتمي بالمحاور السنية وعلى رأسها الخليج العربي، فيحطم السنة والشيعة بعضهم بعضًا، وتخرج إسرائيل هي المنتصرة في النهاية.

فالضربة الإسرائيلية لإيران سلاح ذو حدين: إما أن تعيد إيران إلى العصر الحجري كما تزعم، أو تستدر غضبًا إيرانيًا قد يصل إلى الداخل الإسرائيلي يفوق مخاطره مخاطر التعايش مع القنبلة، والردع المزدوج، وخيارات الدمار المؤكد المتبادل[2]، فالقناعة الأمريكية الإسرائيلية هي أن هجومًا فاشلاً على إيران سيكون أسوأ بكثير من لا هجوم على الإطلاق، باعتبار أن إيران مؤكد نقلت نشاطاتها إلى مواقع أخرى أكثر سرية من تلك التي تم اكتشافها، لتدع إسرائيل و/أو أمريكا تتخبط وتتردد في هجماتها[3]، كما أن الولايات المتحدة - لاسيما في ظل مجيء إدارة جمهورية - ستكون أكثر حسمًا في التعامل مع دول الربيع العربي التي تريد نفوذًا إقليميًا زائدًا في المنطقة وعلى رأسها مصر، على حساب المصالح الأمريكية، وسيمثل تنامي نفوذ مصر بنظام إسلامي تحديًا كبيرًا للولايات المتحدة وسياساتها في المنطقة، ويمكن أن تكون الورقة الإيرانية لها حينئذ ورقة إيجابية وليست سلبية، ووجود دولة سورية هشة إلى جوار إسرائيل بمصالح متضاربة للقوى الإقليمية داخل سوريا سيكون خيارًا أفضل من جارة سنية بلا نفوذ إيراني، تقوم بالالتحام مع المحورين التركي والمصري والسعودي في المنطقة[4]، لذا فإن إيران يمكن أن تضحي ببرنامجها النووي بتجميده (مع القدرة على استعادته في أي وقت حيث وصلت إلى مرحلة المعرفة النووية (how Know) مقابل إطلاق يدها في المنطقة حتى لبنان.

الضربة الإسرائيلية لإيران سلاح ذو حدين: إما أن تعيد إيران إلى العصر الحجري كما تزعم، أو تستدر غضبًا إيرانيًا قد يصل إلى الداخل الإسرائيلي يفوق مخاطره مخاطر التعايش مع القنبلة، والردع المزدوج، وخيارات الدمار المؤكد المتبادل، فالقناعة الأمريكية الإسرائيلية هي أن هجومًا فاشلاً على إيران سيكون أسوأ بكثير من لا هجوم على الإطلاق.

وحينئذ ستكون المعادلة كالتالي: تجميد النووي الإيراني، التحريش بين السنة والشيعة مع ازدياد النفوذ الإيراني، ضمان أمن إسرائيل، استمرار تدفق النفط (مصلحة إيرانية وخليجية وغربية في الوقت ذاته)، ضرب المحاور السنية الصاعدة في المنطقة وعلى رأسها مصر، وجود دولة هشة في سوريا ممزقة بين مصالح القوى الإقليمية، عدم الاصطدام الغربي الصيني الروسي. وكل ذلك يصب في النهاية في مصلحة الجميع ما عدا المحور السني.

٢- تطور الوضع في سوريا إلى حرب إقليمية:

وفي هذا السيناريو يمكن لسوريا أن تستفز تركيا من أجل استدراجها إلى معركة معها لتفعيل اتفاقية

(1) «Why Israel Should Learn to Stop Worrying and Love the Bomb: The Case for a New Nuclear Strategy», Dmitry Adamsky, Foreign Affairs, March 31, 2012, on thins link: http://www.foreignaffairs.com/articles/137374/dmitry-adamsky/why-israel-should-learn-to-stop-worrying-and-love-the-bomb

(2) Ibid.

(3) «Iran and U.S. Options for Preventive Military Strikes», By Anthony H. Cordesman, Abdullah Toukan, Center for Strategic and International Studies, SEP 6, 2012, p. 94, http://csis.org/publication/iran-and-us-options-preventive-military-strikes .

(٤) راجع تصريحات رامي مخلوف ابن خال الأسد للنيويورك تايمز بأنه: «لن يكون هناك استقرار في إسرائيل إذا لم يكن هناك استقرار في سوريا»، أي أن استقرار النظام السوري بقيادة بشار الأسد يعني استقرار إسرائيل، على الرابط التالي:
http://www.france24.com/ar/20110511-syria-assad-regime-sanctions-rami-makhlouf-new-york-times-interview.

الدفاع المشترك مع إيران، ومن ثَم تحويل أزمة النظام العلوي إلى أزمة طائفية إقليمية، وتوسيع المنطقة المحروقة بعيدًا عن القصر الرئاسي السوري، وأي حرب سورية/ تركية، أو سورية/ غربية، ستعطي ذريعة للنظام في استخدام أسلحته الفتاكة ضد المعارضة السورية، بما في ذلك الأسلحة الكيماوية، وسيحول النظام القضية - كما كان يهدف دائمًا - إلى إرهاب دولي ممول، وإلى اعتداء على الدولة السورية، لجلب روسيا وإيران والصين إلى جواره، واجتذاب المليشيات الشيعية كما أشرنا سالفًا إلى الداخل السوري، وهذا بدوره سيدفع النيتو إلى القتال إلى جوار تركيا بحسب البند الرابع من اتفاقية حلف شمال الأطلسي(١)، والتي تفيد بأن أي اعتداء على دولة عضو بالحلف يمثل اعتداءً على الحلف بكامله.

وذلك الخيار ليس المفضل لإيران، إلا أنه الملاذ الأخير لبشار الأسد، وفي تلك الحالة يمكن لـ «أصدقاء سوريا» أن يقوموا بالدعم المفتوح للمعارضة السورية وبترسيخ أقدامها في مناطقها المحررة، وبتوجيه ضربات جوية إلى معاقل النظام، مع محاولة تحييد روسيا وعدم دخولها في الحرب أو تصدير السلاح إليها، والتاريخ يشهد أن روسيا في ساعة الحسم تنسحب وتغلب العقل على العاطفة، وحدث ذلك في أثناء حرب كوسوفو، وكذلك في الحرب ضد نظام القذافي؛ حيث إن روسيا تعلم حدود قوتها جيدًا، وبالرغم من المصالح الممتدة لها في سوريا إلا أنها لن تغامر بالدخول في حرب مع الغرب دفاعًا عن نظام بشار الأسد؛ حيث صرحت مصادر روسية مؤخرًا أن موسكو لا تستبعد إخلاء قاعدتها في طرطوس إذا تعرضت سوريا لهجوم، وهو ما يمثل نقلة نوعية في مسار دعمها الخطابي لنظام بشار الأسد(٢).

وفي تلك الحالة من غير المتوقع أن تقوم إيران بالتدخل العسكري المباشر في سير المعارك، ولكن الأقرب أن تشارك على غرار مشاركتها في حرب لبنان ٢٠٠٦م، عندما دعمت حزب الله بالأسلحة القتالية الفتاكة وكذلك بالمدربين والمقاتلين؛ وذلك لأن إيران لن تجرؤ على التدخل المباشر في الحرب وعبور قناة السويس لنجدة نظام بشار الأسد، فهي بذلك تعلن الحرب رسميًا على النيتو حليف تركيا، بتفعيلها لاتفاقية الدفاع المشترك مع سوريا، وهذا سيستدعي إغلاق الأسطول الخامس الأمريكي للخليج العربي أمام التحركات العسكرية الإيرانية أيضًا، وسيتحول الوضع إلى حرب عالمية مصغرة في الإقليم.

وبالوضع في الاعتبار الحالة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية الداخلية لإيران، فإنها ستفكر ألف مرة قبل أن تخوض حربًا مثل ذلك، بالرغم من أن خوض الحرب في حد ذاته قد يمثل نجدة للنظام الإيراني، بإشغال الشعب الإيراني حينئذ بالحرب القادمة وتجييش الجميع للدفاع عن النظام بدوافع دينية، وهو ما برع فيه نظام الملالي في حكمه منذ ١٩٧٩م؛ حيث مثلت الحرب الإيرانية العراقية له قُبلة الحياة بعد أن كادت الثورة أن تفشل، فإذا بصدام حسين يستفز طهران إلى حرب لم يرفضها النظام حينئذ، ولكن خيار دخول الحرب إلى جوار سوريا سيمثل انتحارًا للنظام حتى لو آتى القرار أُكُله على المدى القريب بتوحيد الداخل الإيراني وراء قرار الحرب.

ولكن يظل الاحتمال الأقرب هو تحريك ميليشياتها في العراق وسوريا ولبنان من أجل نصرة النظام العلوي، واستخدام الخطاب الديني والبكائيات الشيعية في توحيد الداخل الإيراني مرة ثانية خلف النظام الذي يوشك على السقوط، وكذلك من أجل تدعيم أهدافها الخارجية(٣)؛ حيث خرجت

(1) http://www.nato.int/cps/en/natolive/topics_49187.htm

(٢) «الأميرال تشيركوف لا يستبعد احتمال إجلاء العسكريين الروس من قاعدة طرطوس»، وكالة أنباء موسكو، ٢٨/٧/٢٠١٢م، على الرابط التالي: http://anbamoscow.com/russia/20120728/376222361.html، وكذلك: «البحرية الروسية: من المحتمل إجلاء جنودنا من قاعدة طرطوس بسوريا= لو تعرضت لهجوم»، المصري اليوم في ٢٨/٠٧/٢٠١٢م، على الرابط التالي: http://www.almasryalyoum.com/node/1014326

(٣) انظر في ذلك: بيرن ايزدي، «مدخل إلى السياسة الخارجية لجمهورية=

في الرابع من أكتوبر ٢٠١٢م مظاهرات حاشدة في العاصمة الإيرانية طهران مطالبة الرئيس أحمدي نجاد بالاهتمام بالداخل الإيراني وترك سوريا، على إثر الهزة الاقتصادية التي تعيشها البلاد، وذكرت المعارضة الإيرانية أن احتجاجات اندلعت في مدينة مشهد الواقعة شمال شرق إيران بسبب هبوط قيمة العملة الإيرانية (الريال) أمام العملات الأجنبية، وتقول التقارير: إن عددًا كبيرًا من المواطنين احتشدوا في ميدان فردوسي في المدينة عقب تلقيهم أنباء عن اندلاع مظاهرات مماثلة في طهران، وردد المتظاهرون شعارات ضد حكومة أحمدي نجاد [١].

٣- تجميد الوضع السوري:

ببقاء الوضع على ما هو عليه بعدم الانزلاق إلى الحرب، وكذلك بعدم عقد صفقة إيرانية غربية، وهذا الخيار هو الأفضل للمحور السني؛ حيث إن عامل الوقت ليس في صالح النظام الإيراني، فانهياره الاقتصادي أصبح وشيكًا، وذلك الانهيار الاقتصادي سيؤدي إلى اضطرابات اجتماعية واسعة قد تؤدي إلى إسقاط النظام؛ فالعرب السنة ليسوا في صراع مع الشيعة كمذهب أو مع الشعب الإيراني، فقد تعايش أهل السنة مع الشيعة طوال ١٤ قرنًا، ولكن المشكلة تتمثل في النظام الجعفري الفارسي الذي له طموحات إقليمية، فإذا سقط نظام خامنئي (لاسيما مع التقارير التي تفيد بتدهور حالته الصحية)، فإن القادم ربما يكون أفضل لأهل السنة؛ حيث إن بديل خامنئي ليس معروفًا حتى الآن، ومن ثَم يمكن نزع فتيل الأزمات الطائفية بمجيء نظام أقل تطرفًا وأكثر تعايشًا، وأزهد طموحًا في النفوذ الإقليمي.

وتجميد الوضع السوري قد يكون اختيار المضطر لنظام طهران؛ حيث إن النظام العلوي في سوريا يتهاوى، ومن المستحيل أن يستمر بعد حمامات الدماء تلك، كما أن طهران لم تعد تستطيع مساعدة الاقتصاد السوري ودعم الليرة بضخ مليارات الدولارات في اقتصاده الذي أصبح على شفا الانهيار الكامل حتى بعد ضخ طهران لأكثر من ٥,٨ مليار دولار في الفترة الأخيرة[٢]؛ فأيّ تسوية سلمية يجب أن تتضمن خروج بشار من السلطة على غرار علي صالح في الحالة اليمنية، وهو ما سيضعف قبضة طهران على المقدرات السورية، وسيؤدي إلى انتصار المعارضة في النهاية مع انهيار النظام الذي لن يستطيع دفع رواتب جنده وشبيحته، وكذلك عدم توفير لقمة العيش لمواطنيه في الغرب السوري، لاسيما مع امتداد المعارك إلى الأسواق في حلب؛ حيث أوضح محمد الحلبي، الناطق باسم تنسيقيات الثورة في المدينة، أن الجيش السوري الحر بات مسيطرًا على أسواق المدينة التي استهدفها النظام السوري بطلقات حارقة أحرقت ما يزيد على ١٥٠٠ محل تجاري أثري، لافتًا إلى أن قيمة المحل الواحد تتخطى مليوني دولار أميركي.

وأضاف: «ما حصل ويحصل في أسواق حلب القديمة ضربة هائلة للاقتصاد السوري»[٣].

لذلك فإن تجميد الوضع وترك النظام يسقط يظل هو الخيار الأمثل لأصدقاء سوريا، بدون استدراج المنطقة إلى حمامات دماء طائفية، وخاصة تركيا التي دخلت في مناوشات عسكرية مع الجانب السوري، ربما أملاً في أن ينجح النظام في استدراجها إلى حرب شاملة؛ حيث قصف الجيش التركي في الرابع من أكتوبر ٢٠١٢م مواقع للجيش السوري على الحدود بين البلدين، ردًّا على مقتل خمسة مدنيين في قرية تركية، جراء إطلاق قذائف من الجانب السوري، وأن

= إيران الإسلامية»، الدار الثقافية للنشر، الطبعة الأولى ٢٠٠٠م، ص: ١٢١.

(١) العربية.نت، في ٤ أكتوبر ٢٠١٢م، على الرابط التالي:
http://www.alarabiya.net/articles/2012/10/04/241708.html

(٢) الجزيرة. نت، في ٢٠١١/٧/١٥م، على الرابط التالي:
http://www.aljazeera.net/ebusiness/pages/b67f871f-a046-491f-be00-589e00ebbe3d .

(٣) الشرق الأوسط اللندنية، في ٢ أكتوبر ٢٠١٢م، على الرابط التالي:
http://aawsat.com/details.asp?section=4&issueno=12362&article=697942&feature=

عددًا من جنود قوات النظـــام قُتلوا في قصف تركي مباشر على مقر المدفعية السورية جنوب تل أبيض في محافظة الرقة. كما أوضح المصدر أن الضربة التركية أسـفرت عن سـقوط جرحى في قوات بشار الأسد وتدمير آليات عســكرية [1]، لذلــك يمكن أن تسـتغل تركيا اسـتفزازات سوريا للرد على مصادر الاستفزاز وانتهـاز الفرصـة لتدمير بعض منشآت استراتيجية للجيـش السـوري، مثـل مواقع الدفاعات الجويـة ومناطق انطلاق الهجمات على قوات المعارضة، بدون الانجرار إلى حرب شاملة تستدر تدخلاً خارجيًّا وصدامًا إقليميًّا.

كما يجـب الحفاظ على الأراضي التي سـيطرت عليها المعارضة، وعدم السـماح للمليشيات الشيعية القادمة من العراق ولبنان بدخول تلك المناطق المحررة، مع ضبط النفس من الجانب التركي، والرد بالمثل على أية اسـتفزازات سـورية، وعدم الانجرار إلى حرب شـاملة مع النظام، مع ما يحملـه ذلك من تداعيات غير محسوبة باسـتدراج المنطقة إلى صراع طائفي، ويظل عامل الوقت هـو الكفيل بالقضاء على النظام السوري اقتصاديًّا ومعنويًّا وعسكريًّا، بتوجيه ضربات جراحية إلى الدوائر الداخلية لنظام بشار، على غرار استهداف اجتماع مبنى الأمن القومي في قلب دمشق، الذي راح ضحيتـه عدد من كبار الدائـرة الداخلية لبشار الأسد[2].

هـذا بالإضافة إلى ضخّ المسـاعدات العسـكرية للمعارضـة، والتي تكفل للجيـش الحر الحفاظ على أرواحـه ودمائـه، مثل الـدروع وأسـلحة القناصة، والأسـلحة الدفاعيـة والهجومية المضـادة للدروع والآليـات والطائرات، من أجل تحييد أهم أسـلحة بشـار الأسـد؛ حيث قال بسـام الدادة -المستشار السياسي للجيش السـوري الحر-: إن الجيش يعاني من نقص حاد في التسليح، الأمر الذي «يؤخر إسقاط بشار الأسد، ويزيد مـن عـدد الضحايا في المواجهات اليومية، فلدينا خطط لعمليات نوعية يحتـاج تنفيذها للتسـليح، ولكن للأسـف نقصه يعيـق تنفيذها ويبطئ من النصر المنتظر بإسقاط الأسـد، ويترك له مزيدًا من الوقت للقتل والتدمير».

إن الصـراع الطائفي في المنطقـة يجب أن ينتهي؛ وذلك بحتمية التعايش السلمي بين كافة شعوب المنطقة بمختلف مذاهبها وأديانها، وهذا لن يتم إلا بنزع شوكة النظام الطائفي في طهران، والذي منـذ اعتلائه سـدة الحكم في البلاد عـام ١٩٧٩م، وهو يصدر الأزمات إلى كافة دول الجوار

كما جدد الـدادة طلبه للدول العربية بـ«مد مقاتلي الجيش الحر بالسلاح اللازم لحسم المعركة»، مضيفًا «نحن لا نحتاج لقـوات خارجية، فنحن أدرى بطبيعة الأرض التي تدور عليها المعركـة، ولكن كل ما نطلبه منهم هو السلاح، وخاصة مضادات طائرات»[3].

خاتمة:

إن الصـراع الطائفي في المنطقـة يجب أن ينتهي؛ وذلك بحتمية التعايش السلمي بين كافة شعوب المنطقة بمختلف مذاهبها وأديانها، وهذا لن يتم إلا بنزع شوكة النظام الطائفي في طهران، والذي منذ اعتلائه سدة الحكـم في البلاد عـام ١٩٧٩م، وهو يصدر الأزمات إلى كافة دول الجوار، وقد اسـتفاد نظام الملالي من سـقوط نظامي طالبان وصدام حسـين على شرقه وغربه، وكذلك سقط تهديد الاتحاد السوفيتي بغزوه من الشـمال، ومن ثمّ أصبحـت الدولة الإيرانية منذ ذلك الوقت آمنة في محيطها، واسـتفادت من الوفرة النفطية في تصنيع السـلاح والتقـدم في التقنيات النووية، واستغلال أموالها في تصدير مذهبها، ومن ثَم

(١) العربية. نت، في ٤ أكتوبر ٢٠١٢م، على الرابط التالي: http://www.alarabiya.net/articles/2012/10/04/241737.html

(٢) الشـرق الأوسـط اللندنية، في ١٩ يوليو ٢٠١٢م، على الرابط التالي: http://www.aawsat.com/details.asp?section=4&article=687046&issueno=12287

(٣) وكالة أنباء الأناضول في ٢٠١٢/٩/٣٠م، على الرابط التالي: http://www.aa.com.tr/ar/headline/86195 .

المشكلات إلى دول الجوار، وامتد آثار النظام الجعفري إلى العراق وسوريا ولبنان، وأحدث مشكلات داخلية في تلك الدول، بالإضافة إلى دول الخليج العربي في البحرين الكويت واليمن والسعودية.

لذلك فإن مصالح دول المنطقة تتقاطع مع المصالح الغربية في إسقاط النظام الديني في إيران، مع الحفاظ على أرواح كافة شعوب المنطقة، بما في ذلك الشعب الإيراني، مع حتمية التعايش السلمي والتسامح الديني، مع عدم محاولة تغيير مذاهب الشعوب بالقوة، أو باستخدام الأموال أو النفوذ السياسي والعسكري، أو تحت مظلة نووية، مع الاحتفاظ بحق الشعوب في تقرير مصائرها واختيار حكامها، وتتبقى الاختيارات الدينية للشعوب بالدعوة إلى الله بالحسنى والموعظة الحسنة، والنقاش والجدال الديني الهادئ الرصين، واستخدام القوة الناعمة للشريعة الإسلامية وسماحتها لمخاطبة التطرف الإيراني، ومحاولة تعريته وفضحه أمام العقلاء من الشيعة الذين يبحثون عن الحق، وقطع خطام الأنف الذي ربطه الملالي للجهلاء والعامة من الشيعة الذين يساقون بأدبيات عاطفية مفرغة من مضمونها؛ مثل حب أهل البيت وكره النواصب، والتقرب إلى الله بقتل أهل السنة؛ لأن دماء الحسين في رقبتهم إلى يوم القيامة، وتبيان أن أهل السنة هم في الحقيقة شيعة رسول الله وأهل بيته، وأنهم أحرص الناس على عترته، وعلى حفظ النبي صلى الله عليه وسلم في ذريته وأهل بيته وتكريمهم تعبدًا وديانة.

إن تحولات الخريطة الإقليمية بناء على الخطوط العرقية والمذهبية تعد الخطر الأكبر على السلم والأمن الإقليميين في المنطقة، والتحريش بين الطوائف هو الهدف الأسمى لأعداء الأمة الإسلامية، بالقضاء على بعضهم بعضًا، وبانتعاش سوق السلاح الشرقي والغربي، ويصب في النهاية في صالح إسرائيل، التي لها أحلام توسعية هي الأخرى بإنشاء إسرائيل الكبرى من النيل إلى الفرات، ولن يساعدها في تحقيق ذلك إلا حمق الأطراف الإقليمية واندفاعها نحو الانتحار الجماعي.

معلومات إضافية

عرقيات سوريا

بموجب إحصاءات عام ٢٠١٠م فإن عدد سكان سوريا يقدر بحوالي اثنين وعشرين مليونًا ونصف، بنسبة نمو طبيعي تعادل ١,٩ ٪ سـنويًا، أي بزيادة نصف مليون نسمة كل عام، أما نسبة الولادات فهي ٣٢ مولود لكل ألف نسمة مقابل ٤ وفيات لكل ألف نسمة أيضًا، وبمعدل أربعة أطفال لكل امرأة سورية، حوالي ٩٠٪ من سكان البلاد هم من العرب، في حين أن الأكراد يشـكلون ٨٪ من السكان، وتوزع النسبة الباقية على سائر الأقليات كالأرمن والتركمان والشركس والسريان بمختلف فروعهم، إلى جانب أقليات قومية وافدة أخرى.

الطوائف السورية:

وحسب الإحصاء الرسمي عام ١٩٨٥: ٧٦,١٪ مسلمون سنة، و ١١,٥٪ علويون، و ٣٪ دروز، و ١٪ إسماعيليون، و ٤,٥٪ مسـيحيون، و ٠,٤٪ شيعة اثني عشرية.. ويرى بعض الباحثين أن نسبة المسلمين السنة في سوريا لا تقل عن ٨٠٪. ويرى عبد الحليم خدام (نائب الرئيس السابق) أن السنة مع الأكراد يمثلون نسبة ٨٥٪ إلى جانب ٩٪ من العلويين و ٥٪ من المسيحيين (بعد أن هاجر كثير منهم).

أمـا فـي التقديـرات الأميركيـة: ٧٧ ٪ مـن السكان مسلمون سـنة، و ١٠ ٪ علويون ومرشـدون، ٣٪ دروز وإسماعيليون وشـيعة اثني عشـرية، و ٨٪ من السكان مسـيحيون من طوائف مختلفة، وتوجد أيضًا أقلية يزيدية في منطقة جبل سنجار على الحدود مع العراق.

النصيرية:

النصيرية حركة باطنية ظهرت في القرن الثالث للهجرة، أصحابها يعدُّون من غلاة الشيعة الذين زعموا وجودًا إلهيًا في علي وألهوه به، مقصدهم هدم الإسلام ونقض عراه، وهم مع كل غازٍ لأرض المسلمين، ولقد أطلق عليهم الاستعمار الفرنسي لسوريا اسم العلويين؛ تمويهًا وتغطية لحقيقتهم الرافضية والباطنية.

- جعل النصيرية عليًا إلهًا، وقالوا بأن ظهوره الروحاني بالجسد الجسماني الفاني كظهور جبريل في صورة بعض الأشخاص.
- لم يكن ظهور (الإله علي) في صورة الناسوت إلا إيناسًا لخلقه وعبيده.
- يحبون (عبد الرحمن بن ملجم) قاتل الإمام علي ويترضون عنه؛ لزعمهم بأنه قد خلص اللاهوت من الناسوت، ويخطِّئون من يلعنه.
- يعتقد بعضهم أن عليًا يسـكن السحاب بعد تخلصه من الجسـد الذي كان يقيده، وإذا مر بهم السحاب قالوا: السلام عليك يا أبا الحسن، ويقولون: إن الرعد صوته والبرق سوطه.
- يعتقدون أن عليًا خلق محمدًا صلى الله عليه وسلم، وأن محمدًا خلق سلمان الفارسي، وأن سلمان الفارسي قد خلق الأيتام الخمسة الذين هم:

ـ المقداد بن الأسود: ويعدونه رب الناس وخالقهم والموكل بالرعود.

ـ أبو ذر الغفاري: الموكل بدوران الكواكب والنجوم.

ـ عبد الله بن رواحة: الموكل بالرياح وقبض أرواح البشر.

ـ عثمان بن مظعون: الموكل بالمعدة وحرارة الجسد وأمراض الإنسان.

ـ قنبر بن كادان: الموكل بنفخ الأرواح في الأجسام.

• لهم ليلة يختلط فيهم الحابل بالنابل كشأن بعض الفرق الباطنية.

• يعظمون الخمرة، ويحتسونها، ويعظمون شجرة العنب لذلك، ويستفظعون قلعها أو قطعها؛ لأنها هي أصل الخمرة التي يسمُّونها (النور).

• يصلون في اليوم خمس مرات، لكنها صلاة تختلف في عدد الركعات، ولا تشتمل على سجود، وإن كان فيها نوع من ركوع أحيانًا.

ـ لا يصلون الجمعة ولا يتمسكون بالطهارة من وضوء ورفع جنابة قبل أداء الصلاة.

ـ ليس لهم مساجد عامة، بل يصلون في بيوتهم، وصلاتهم تكون مصحوبة بتلاوة الخرافات.

• لهم قدَّاسات شبيهة بقداسات النصارى من مثل:

ـ قداس الطيب لكل أخ حبيب.

ـ قداس البخور في روح ما يدور في محل الفرح والسرور.

ـ قداس الأذان وبالله المستعان.

• لا يعترفون بالحج، ويقولون بأن الحج إلى مكة إنما هو كفر وعبادة أصنام !!.

• لا يعترفون بالزكاة الشرعية المعروفة لدينا ـ نحن المسلمين ـ وإنما يدفعون ضريبة إلى مشايخهم زاعمين بأن مقدارها خمس ما يملكون.

• الصيام لديهم هو الامتناع عن معاشرة النساء طيلة شهر رمضان.

• يبغضون الصحابة بغضًا شديدًا، ويلعنون أبا بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم أجمعين.

• يزعمون بأن للعقيدة باطنًا وظاهرًا وأنهم وحدهم العالمون ببواطن الأسرار، ومن ذلك:

ـ الجنابة: هي موالاة الأضداد والجهل بالعلم الباطني.

ـ الطهارة: هي معاداة الأضداد ومعرفة العلم الباطني.

ـ الصيام: هو حفظ السر المتعلق بثلاثين رجلاً وثلاثين امرأة.

- الزكاة: يرمز لها بشخصية سلمان.

- الجهاد: هو صب اللعنات على الخصوم وفُشاة الأسرار.

- الولاية: هي الإخلاص للأسرة النصيرية وكراهية خصومها.

- الشهادة: هي أن تشير إلى صيغة (ع. م. س).

- القرآن: هو مدخل لتعليم الإخلاص لعلي، وقد قام سلمان (تحت اسم جبريل) بتعليم القرآن لمحمد.

- الصلاة: عبارة عن خمس أسماء هي: علي وحسن وحسين ومحسن وفاطمة، و(محسن) هذا هو(السر الخفي) إذ يزعمون بأنه سقّطٌ طرحته فاطمة، وذكر هذه الأسماء يجزئ عن الغسل والجنابة والوضوء.

- اتفق علماء المسلمين على أن هؤلاء النصيريين لا تجوز مناكحتهم، ولا تباح ذبائحهم، ولا يُصلى على من مات منهم ولا يدفن في مقابر المسلمين، ولا يجوز استخدامهم في الثغور والحصون.

- يقول ابن تيمية: (هؤلاء القوم المسمَّون بالنصيرية - هم وسائر أصناف القرامطة الباطنية - أكفر من اليهود والنصارى، بل وأكفر من كثير من المشركين، وضررهم أعظم من ضرر الكفار المحاربين مثل التتار والفرنج وغيرهم.. وهم دائمًا مع كل عدو للمسلمين، فهم مع النصارى على المسلمين، ومن أعظم المصائب عندهم انتصار المسلمين على التتار، ثم إن التتار ما دخلوا بلاد الإسلام وقتلوا خليفة بغداد وغيره من ملوك المسلمين إلا بمعاونتهم ومؤازرتهم).

- الأعياد: لهم أعياد كثيرة تدل على مجمل العقائد التي تشتمل عليها عقيدتهم، ومن ذلك:

- عيد النَّيروز: في اليوم الرابع من نيسان، وهو أول أيام سنة الفرس.

- عيد الغدير، وعيد الفراش، وزيارة يوم عاشوراء في العاشر من المحرم ذكرى استشهاد الحسين في كربلاء.

- يوم المباهلة أو يوم الكساء: في التاسع من ربيع الأول ذكرى دعوة النبي صلى الله عليه وسلم لنصارى نجران للمباهلة.

- عيد الأضحى: ويكون لديهم في اليوم الثاني عشر من شهر ذي الحجة.

- يحتفلون بأعياد النصارى كعيد الغطاس، وعيد العنصرة، وعيد القديسة بربارة، وعيد الميلاد، وعيد الصليب الذي يتخذونه تاريخًا لبدء الزراعة وقطف الثمار وبداية المعاملات التجارية وعقود الإيجار والاستئجار.

- يحتفلون بيوم (دلام) وهو اليوم التاسع من ربيع الأول، ويقصدون به مقتل عمر بن الخطاب رضي الله عنه؛ فرحاً بمقتله وشماتة به.

الانتشار ومواقع النفوذ:

- يستوطن النصيريون منطقة جبال النصيريين في اللاذقية، ولقد انتشروا مؤخرًا في المدن السورية المجاورة لهم.

- يوجد عدد كبير منهم أيضًا في غربي الأناضول ويعرفون باسم (التختجية والحطابون) فيما يطلق عليهم شرقي الأناضول اسم (القزل باشيه).
- ويعرفون في أجزاء أخرى من تركيا وألبانيا باسم (البكتاشية).
- هناك عدد منهم في فارس وتركستان ويعرفون باسم (العلي إلهية).
- وعدد منهم يعيشون في لبنان وفلسطين

توزيع اللا جئين السوريين في دول الجوار:

اللاجئون السوريون: مواطنون سوريّون فرّوا من سورية مع تصاعد القمع الحكومي للانتفاضة السوريّة، بحلول نيســـان/أبريل ٢٠١٢، تم تسجيل عشرات الآلاف من اللاجئين الســـوريين الفاريّين من سورية إلى دول الجوار خصوصاً الأردن ولبنان وتركيا، وعلى الأرجح توجد عشرات الآلاف الأخرى من اللاجئين غير المسجلين.

المصدر:

- مُترجم عن الخارجية الأمريكية على الرابط التالي:

http://www.state.gov/r/pa/ei/bgn/3580.htm

- كتاب (سوريا بالأرقام)، مركز اللبناني للدراسات الاستراتيجية، ج١ ص١٢٤، ج٢ ص١٢٨..
- النصيرية، إعداد الندوة العالمية للشباب الإسلامي. موقع صيد الفوائد

http://www.saaid.net/feraq/mthahb/35.htm

- الأمم المتحدة: ارتفاع عدد اللاجئين الســـوريين في دول الجوار إلى ١٧٠ ألفًا، روسيا اليوم، ١٧ أغسطس ٢٠١٢م.. وُصِل لهذا المسار في ١٧ أغسطس ٢٠١٢م.
- مفوضية اللاجئين: ارتفاع حاد في عدد النازحين من سوريا، بي بي سي عربي، ١٧ أغسطس ٢٠١٢م.. وُصِل لهذا المسار في ١٧ أغسطس ٢٠١٢م.